المعتقدات الدينية السائدة في افريقيا جنوب الصحراء قبل دخول الإسلام

إيهاب سالم زامل أ.د.كريم عاتي لعيبي الخزاعي
ihabsalm9322@uomustansiriyah.edu.iq dr.karrem@uomustansiriyah.edu.iq
الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ،قسم التاريخ

الملخص:

ان القارة الافريقية حاله كبقية قارات العالم كانت موطن لكثير من المعتقدات الدينية فهي تشهد تنوعاً دينياً وثقافياً كبيراً.

ويعتقد سكان افريقيا جنوب الصحراء بالعديد من الديانات سواء كانت من الطبيعة كالأنهار والأشجار فهي تحمل طاقة روحية تلعب دوراً مهماً في الطقوس الدينية او من الحيوان وكذلك عبادة الاسلاف حيث كان يتم تقديس أرواح الأجداد فضلاً عن ممن يصنعونها بأيديهم كالأصنام كما انتشرت بينهم تقديس الحكام والملوك،ومن الطقوس التي كانت سائد في المجتمع الافريقي السحر والشعوذة والتي كانت الوسيلة الوحيدة لديهم لفهم الغموض، وتظهر هذه الديانات احتراماً عميقاً للطبيعة وتعتبرها جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية للأفراد، وتختلف الممارسات بين مجتمع واخر حسب العادات والتقاليد الخاصة بكل قبيلة او منطقة.

الكلمات المفتاحية : المعتقدات الدينية، تقديس اله السماء،الاوثان، المجوسية، السحرة.

The prevailing religious beliefs in sub-Saharan Africa before the introduction of Islam

Ihab Salim Zamil Mr. Dr. Karim Ati lueibi Al-Khazai
Al-Mustansiriya University, College of Education, Department of History

Abstract

The African continent, like the rest of the world's continents, has been home to many religious beliefs, as it witnesses religious and cultural diversity.

The people of sub-Saharan Africa believe in many religions, whether from nature, such as rivers and trees, as they carry spiritual energy that plays an important role in religious rituals or from animals, as well as ancestor worship, where the spirits of ancestors were sanctified, as well as those who made them with their own hands, such as idols. The reverence for rulers and kings spread among them, and among the rituals that were prevalent in European society was magic and sorcery, which had no connection to understanding the mystery, These religions demonstrate a deep respect for nature and consider it an integral part of individuals' cultural identity Practices vary from one society to another according to the customs and traditions of each tribe or region.

Keywords: religious beliefs, reverence for the sky god, idolatry, Magianism, ancestor worship, witches

المقدمة

من المعلوم ان افريقيا جنوب الصحراء تمتد من المحيط الأطلسي الى بحيرة تشاد شمال خط الاستواء وجنوب الصحراء حيش شكلت هذه الرقعة الجغرافية الكبيرة نسبيا تنوع ديني حيث كانت موطن للعديد من الديانات السماوية و الوثنية فظهرت مجموعة من المعتقدات الدينية التي تطبع بها سكان افريقية جنوب الصحراء بشكل عام، وبحكم التنوع السكاني وكذلك العلاقات التجارية التي كانت رائج بين مناطق الساحل الافريقي ساهم في دخول معتقدات دينية جديدة وقد تطبع بها سكان افريقيا،وان العقيدة الدينية في وجودها أقدم من الانسان نفسه بينما من الصعوبة تحديد البدايات لهذه

 DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

العقيدة الدينية من حيث الإمكان والزمان، لكن يمكن القول ان الايمان وجد في مناطق مختلفة وبين اقدم الجماعات البشرية المنتشرة في بلاد السودان، وقد اقتضت ضرورة بحثي ان اقسمه على عدة فقرات :أولا تناولت في تقديس اله السماء، وثانياً عبادة الاوثان، بينما تناولت ثالثاً تقديس الاسلاف، كما جات المجوسية رابعاً، وخامساً تناولت الاعتقاد بالسحر والعرافة وبعدها تناولت ظاهرة تقديس الحاكم، وجات سابعاً تناولت الطوطيمة في بلاد السودان، بينما لم نتطرق الى الديانة اليهودية والمسيحية لأنها ديانات سماوية.

اولاً : تقديس اله السماء :

انتشرت فكره وجود الاله الاعظم في بلاد السودان بشكل كبير حيث كان يعتقدون أن الله هو الاقوى واعظم من كل ما يشاهدون في حياتهم اليومية بيد أن معرفتهم بهذا الاله كانت بسيطة و مشوشه وكان بعضهم يسميه جورجيت ويعني بلغتهم رب السماء وكان في اعتقادهم ان هذا الاله هو بعيد جدا عن العالم ويتخذ له أسماء مختلفة حيث كان يقيمون له المعابد والاحتفالات في كل مكان وهناك قصص عديده عن كيفيه خلق هذا الاله للإنسان والكون وتتسم معظم هذه الروايات بالخرافة اذ كان يسود اغلبها جو الاساطير (نوري، 1985، صفحة 41)

هناك أسطورة تتحدث عن قيام الاله الاعظم بخلق طفلين توأمين في بداية خلقه البشر في الوقت نفسه محل الاله في مراقبه اعمال البشر على الأرض، وان هذه العبادات لم تصل الى حد العبادة التوحيدية لكنها كانت بادرة لتقبل السودان لديانة السماوية (الملاح، 2014، صفحة 27)

كان في بلاد النوبة جماعة تؤمن بوجود الاله في السماء وقد اشار المقريزي بقوله : " أن هناك رجلا مسلما التقاء باخر من النوبة فساله عن دينه فأجاب النوبي ان ربي ورب الملك هو الله فقال له المسلم الم تسمع ببعث موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، فأجاب : كلا ولكن كانوا قد بعثوا فقد صدقوا " (المقريزي، د.ت، صفحة 197) وان غالبية قبائل السودان الغربي كانت تومن بالاله الاعظم لكنها في الوقت نفسه لم تتفق فيما بينها حول صفات ذلك الاله الخالق ولا حول طبيعة العلاقة بينه وبين البشر حيث يرى بعظهم ان الخالق لا علاقه له بما يدور بالارض وانه ترك الامر للبشر، فنجد عبادة هذه الفئة لذلك الاله نادرة، في الجانب الثاني اعتقدت قبائل اخرى بان هذا الاله على تواصل بالبشر وهوينظر اليهم ويراقب تصرفاتهم حي يعاقب الاشرار بينما يكافئ الاخيار وهوالذي يمنع ويعطي لذلك عبدوه وكانوا يقدمون له النذور (نوري، 1985، صفحة 41)

وفي السودان الاوسط ولا سيما في كانم سادت العديد من المعتقدات ومن ابرزها عبادة الاله الواحد، فقد كانوا اهل كانم يعتقدون في كائن أعلى يدعى(واك) ويرادف هذا المعنى السماء كما يعتقدون في رب وربه من المرتبة الثانية اسمها اجلي واتيتي (الملاح، 2014، صفحة 27)

ثانياً: عبادة الاوثان:

الاوثان من الوثن، والوثن صنم وقيل الصنم الصغير، وأصل الوثن عند العرب ما له جسم يعبد، سواء كان من حجر أو خشب أو ذهب أو فضة أو نحاس غير ذلك، وبالجملة فإن الوثنية هي مذهب من يعبد الوثن (ابن منظور، 1999، صفحة 214)

لقد كانت عبادة الأصنام احد ابرز الديانات انتشارا في افريقيا جنوب الصحراء حيث كان لك مجموعة من السكان صنم خاص بهم فكان الصنم الذي يعبده الرنافج يسمى (حجافوا) (المقريزي، د.ت، صفحة 197) فكان السكان يصنعون لأنفسهم العديد من التماثيل وبأشكال واحجام مختلفة ومن مواد مختلفة كالخشب والبرونز والطين والحجارة واخذوا يعتنون بها من حيث زخرفتها واضافة النقوش والرسم عليها (نوري، 1985، صفحة 42)، وقد تأثر السكان من شدة تعلقهم بمعبودهم وبمانهم به وتعددت الهتهم فكان اهل اكسوم وهي احد مدن الحبشة ترتكز على تقديس اله الحرب وكانوا يطلقون عليه اسم(محرم) ويعتقدون ان بفضله يتحقق نصرهم في المعاركهم التي يخوضونها (الملاح، 2014، صفحة 25) على الجانب الاخر نجد سكان مملكة دمدم يذهبون الى قاعة في ديارهم وقد ضعوا عليها صنم على شكل امرأة

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

يبتهلون له ويحجون اليه (البكري، 1992، صفحة 184) فضلا عن ذلك كان اهل النوبة يعتقدون بالديانة الوثنية الى حدود القران السادس الميلادي حيث بعدها اعتنقوا النصرانية (علال، 2022، صفحة 33) كما كان لبعض القبائل الافريقية البدائية صنم يدعى بلغتهم (بوسوم) وهناك تسميه أخرى له هي (الفيتشية) وهذه التسمية أصبحت تطلق على كافة اديان افريقية (المظفر، 2010، صفحة 121)

ان سكان شرق أفريقيا هم سوأ كانوا زنوجا او حامين او سامين كانوا وعلى الديانة الوثنية إلا انهم كانوا يؤمنون باله واحد أعلى هو خالق السماوات والأرض على الرغم من تسميتهم له بأسماء مختلفة حيث كانت غالبية قبائل الزنج تعبد إلهاً واحداً وهو الرب الأكبر خالق السماوات والأرض وقد سموه (مكلنجو) (المسعودي، 2005، صفحة 16) واما الحاميون من ابنا نوح (عليه السلام)فقد كانوا يومنون بالله واحد اله نوح، بينما الساميون وهم الذين توافدوا من الجزيرة العربية الى شرق افريقيا وسكنوا فيها كانوا على الوثنية (النقيرة، 1982، صفحة 44)

وقد أشار اليعقوبي خلال حديثه عن مملكة البجة والممالك المجاورة لها الى بلاد الزنج في السودان الشرقي بقوله : " يضارعون في دينهم المجوسية والوثنية " (اليعقوبي، 1439، صفحة 167) في حين ذكر صاحب كتاب المسالك الممالك بقولة "والبجة قوم يعبدون الاصنام وما استحسنوا " (الاصطخري ، 1927، صفحة 35)

كذلك كانت ممالك السودان الغربي تعتقد بالديانة الوثنية حيث كانت منتشرة عبادة الطبيعية كالأشجار والكائنات الحية، فقد كان سكان غانة يقدسون الحية حيث كان يقدمون اليها الفتيات كقربان في كل عام (قداح، 1960، صفحة 34) وأشار البكري بقوله :" ومدينة التكرور أهلها سودان وكنوا على ما كان عليه سائر السودان من المجوسية وعبادة الدكاكير وهي بلغتهم الاصنام " (البكري، 1992، صفحة 868)

ثالثاً : المجوسية :

هي عقيدة دينية فارسية قديمة تقوم على تقديس الكواكب والنار وقد جددها اردشت، ويرجع السبب في تقديسهم للمار انها لم تحرق النبي إبراهيم (عليه السلام)وكانت عليه بردا وسلاما ويعتقدون ان تعظيمهم لها يجنبهم من العذاب في يوم القيامة (حسين، 1998، صفحة 181)

تعد المجوسية احدا المعتقدات الدينية التي انتشرت بين سكان افريقيا جنوب الصحراء، فقد ذكر احد المؤرخين ان سكان مملكة بلقين في بلاد البجة كانت ديانتهم مجوسية بقوله " يضارعون فيه المجوس والوثنية فيسمون الله عز وجل الزنجير الأعلى " (اليعقوبي، 1439، صفحة 169) وقد أشار الانصاري الى معتقدات اهل الحبشة : " ان الحبشة العليا كفار عراة، ودينهم المجوسي يعبدون الاوثان، ويسمونها الدكاكير" (الانصاري، 1923، صفحة 286)

وقد وتخذا سكان النوبة من الشمس والنار معبودا لهم فقد الشار الوزان بقوله :" كان الأفارقة في الزمن القديم وثنيين على غرار الفرس الذين يعبدون النار والشمس، ويتخذون لعبادتها معابد جميلة مزخرفة توقد داخلها نار تحرس ليل نهار حتى لا تنطفئ، كما كان يفعل ذلك في معبد الالهة فيستا عند الرومان" (الفاسي، 1983، صفحة 67)

كما كان بلاد السودان وبالأخص القبائل الزراعية يقدسون الأرض حيث ان غالبية الزنوج يعتمدون على الزراعة في عيشهم. ومن عادات القبائل الزنجية هو التحالف مع الأرض ويقصد هنا بالأرض المساحة التي تسكن في القبيلة وليس الكوكب ككل.

وكان سكان شمال ساحل الذهب يعتبرون الأرض هي معبودهم الرئيسي وهم يزعمون ان الأرض تشمئز من إراقة الدم عليها ففي حال مقتل أي شخص هرعوا الى إقامة بعض شعائرهم المعتادة لتلافي غضبها وكسب ودها، كذلك انهم يقدمون الاضاحي والنذور بأوقات معينة تكريما للأرض خصوصا في عيد بذر الحبوب وحصادها ونفس العادات يتبعها جيرانهم من قبائل (لوبي) فهي تقدم القربان من الخمور والحلوى وحب الذرة امام المحراب أي الهة الارض وهو شكل مخروطي من الطين (ديشان، 2011، صفحة 40)

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

رابعاً: عبادة الاسلاف :

تعتبر عبادة الأسلاف من أهم المعتقدات التقليدية في إفريقيا جنوب الصحراء حيث انهم يعتقدون أنه عندما يموت الشخص تنتقل الروح في الكون، ويعتقدون أن علاقتهم مع أسلافهم قوية جدا وأنهم يشعرون بمراقبتهم لهم وأنهم موجودون حولهم وأن الموتى انتقلوا من العالم المادي إلى عالم روحي دون أن يقطعوا الوشائج بينهم والعلاقة مع الأحياء (محمد ص.، 1959، صفحة 77)

وتعد عبادة الاسلاف من اقدم الممارسات الدينية التي عرفتها البشرية حيث تقوم على الاعتقاد بان أرواح الأجداد تستمر في التأثير على حياة الاحياء، واعتقد بعض الزنوج بخلود النفس بعد هلاك الجسد، وان لهذه الأرواح القدرة على تحقيق الخير او الشر، وكانت من عاداتهم تقديم القرابين لأرواح اسلافهم في مختلف المناسبات (الملاح، 2014، صفحة 22) حيث كانت عند الجاهلية اعتقاد مبني على قدرت الأرواح على الضهور للإنسان بأشكال مختلفة لذا فهم قدسوها واعتقدوا انها تحل في بعض الحيوانات كالبوم والعقاب والغراب حتى سموه غراب البين (الفراق) لزعمهم ان هذه الحيوانات لها اثر على حيات الانسان سوأ كان هذ التأثير سلبي او إيجابي (عمر، 1983، الصفحات 164-165). وادرك اهل السودان ان اجدادهم هم الذين سنوا لهم تقاليدهم ووضعوا لهم الأعراف وهي بذلك قد فرضت على أولادهم ومن بعدهم الاستمرار على ما سنوا ومن يخرج عن اعرافهم يعرض نفسه للهلاك كما انهم يعتقدون بعدم فنا الميت لان الروح تبقى وتنتقل الى عالم اخر وان ذلك ليس بعيد عن الاحياء فكانوا يقدسون أرواح اسلافهم (زناتي، 1969، الصفحات 201-202) حيث نجدهم يعتقدون ان للأسلاف عهداً وهو حماية الاسرة او القبيلة وهم بذلك يعطوهم مزيداً من القوة والحماية فم يومنون بمبدأ تناسخ الأرواح وعودة أرواح الأجداد في اجسام الأبناء (محمد ع.، 2008، صفحة 78)

ومن اعتقادات التي ظهرت عند احد قبائل السودان الغربي وهي قبيلة (سارا) ان الروح بعد الموت تنطلق بتجاه الغرب و في نفس الوقت تبقى الى جانب قبر صاحبها (ديشان، 2011، صفحة 18) واصبح واجب عليهم تقديم النذور في المناسبات لإرضائها باعتقادهم ان الموتى من المقربين يهيمنون على الأبناء من وراء قبورهم، وكانت لبس الأقنعة احد ابرز وسال التواصل مع الأجداد وعادة سكان السودان يرتدوها في المناسبات المقدسة عندهم، اذ باعتقادهم ان الانسان يبدو وجه الحق ولان للإنسان وجهان الأول يظهر للعيان اما الاخر خفي وكان عندهم عيد الغول من الأعياد التي يتقلد فيها سكان السودان الأقنعة وهذا العيد يقام للمقربين كالوالدين والزوجات (الملاح، 2014، صفحة 23)

وتعتقد بعض الجماعات أن حياة الشخص هي التي تحدد أرواح الأسلاف فمثلاً قبيلة الأكانا في غانا ترى أن الشخص لكي يصبح سلفا لا بد له من حياة سابقة ذات قيمة وشرف وجاه وأن يكون قدوة حسنة أما قبيلة اليوروبا وهي احدى قبائل السودان الأوسط فتعتقد أن على المرء أن يموت ميتة حسنة حتى يستطيع أن يدخل إلى عالم الأسلاف فلا يدخل في الأسلاف من مات بسبب حادثة أو انتحر أو من منه الجنون أو الجزام، أو الصرع، وعلى ذلك تتشابة الشروط التي تحددها المجموعات الإفريقية حتى يدخل الشخص الميت في نسق الأسلاف (عليان و الساموك ، د.ت، صفحة 33)

خامساً: الاعتقاد بالسحر و العرافة :

السحر وهو صرف الشيء عن حقيقته او صورته الى شيء اخر مخالف للواقع والخيال، كما يلعب السحر دورً هاماً في حياة سكان افريقيا جنوب الصحراء فقد اعتقدوا به وكان بعض السحرة لهم قوه خارقة غير طبيعية تمكنهم من تحقيق بعض الأمور التي تكون غير ميسره على غيرهم ولم يقتصر السحر على جنس معين فربما نجد ان الساحر من النساء او رجل، ويرجح ان يكون السحر من اكثر الوسائل فعالية في الحفاض ورفع على المكانة الاجتماعية، فقد يستخدمه بعض الأشخاص الطامعين في السلطة لتحقيق أهدافهم الخاصة وفي الوقت نفسه قد يستخدمه اشخاص تعرضوا للاذا والاهانة ضد الذين انتقصوا منهم (زناتي، 1969، صفحة 209) (نوري، 1985، صفحة 44) وبطبيعة الحال ان بلاد افريقيا جنوب الصحراء والتي تحركها القوة الحيوية سواء كانت ظاهرة للعيان امو مخفية ان يسعى الانسان للاحتفاظ

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

بالقوى والحصول عليها وقد انشاء السحر ليستعين به الافراد لكسب القوى وفي الوقت نفسة ابعاد لبقوى الشريرة التي تشكل خطر عليهم (قداح، 1960، صفحة 40)

وينفرد الساحر المتطبب عند قبائل البوشمن بقدرة خفية هائلة اذ انه يمكنه استدراج فريسته من موضعها او انه يتحول الى حيوان او يصعد الى السماء عن طريق حبل يرميه الى السماء لينزل المطر برقصات خاصه يقوم بها الساحر (ديشان، 2011، صفحة 91).

فقد استخدم السحر في بعض الحالات في بلاد السودان لأغراض اجتماعية اذ يجعل من شيخ القبيلة قادراً على محاسبة المجرمين المجهولين، ولهذا كان يخشى كل فرد في المجتمع من ظلم ابنا قومه خوفاً من ان يتم قله بالسحر، كما كتن للسحرة دور في تنصيب شيخ القبيلة حيث كان يشرب مقدار معين من الشراب السحري وسط طقوس لتجعل منه شخصاً قويا ً (نوري، 1985، صفحة 44)

كما لاقه السحر اهتمام كبير من قبل الملوك في بلاد السودان وقد ذكر صاحب كتاب الاستبصار بقوله: "ان السحرة في غانة الوثنية كانوا يتمتعون بمكانة عالية لدى ملوكها، فسكنوا في منازل محيطة بقصر الملك " (مجهول، 1986، صفحة 67) حيث كان للسحرة في بلاد السودان منزلة كبيرة وكانوا يستنبئون المستقبل ويلقون الرعب و الفزع في قلوب الناس بأعمال الشعوذة التي يمارسونها (محمود، د.ت، الصفحات 247-249)

وليس من الضروري ان يعرف الساحر عن نفسه بنه ساحراً، فقد كان باعتقادهم ان الطفل المريض وذميم الخلق والتوم يمتلكون روحاً خبيثة وبسببها يحل ذبحهم. ومن الغريب ان الأشخاص الذي تظهر عليهم اعراض السحر يرضون على هذه الوصمة وان قوة السحر المؤذية قد تكون لا شعورية (ديشان، 2011، صفحة 96)

اما العرافة فقد انتشرت في بلاد السودان الي جانب السحر والقصد منها هو معرفة المخفي والكشف عن المجهول، وكان باعتقادهم ان العراف بمكانه الاتصال بالقوى الخفية وهي التي تخبرهم بكل شيء، حيث كان اهل السودان يلاجون الى العرافيين لأخبارهم ع أسباب مرضهم او خسائرهم في تجارتهم (نوري، 1985، صفحة 44) في الوقت نفسه كان بعض الكهنة يداعون انهم على اتصال بقوة خفية وهي التي تخبرهم بكل شيء قد يحدثر (الفاسي، 1983، صفحة 265) فقد امتلك الكهنة المهارة في بيع التعاويذ وكانت لهم أساليب مختلفة في الكشف عن الغيب منها التفوه بكلام غريب غير مفهوم او بالتهام القمامة، ومن عادات الكهنة ان يستشيرون القبور لمعرفة الامور الغيبية (قداح، 1960، صفحة 40)

في الوقت الذي كانت فيه تقع الامراض و الشرور التي انتشرت في افريقياء جنوب الصحراء هي بالتالي ناشئة من اسباي خارقة على حد قولهم، لذلك كانت هناك يتم تقديم القرابين والهدايا لتلك القوى الخفية من اجل كسب ودهم و ابعاد السحر والشر عنهم حيث كانت القرابين تقدم كهداية الى العرافين (نوري، 1985، صفحة 45) .

وهناك نوعين من السحر

1ـ السحر الأبيض وهو يستخدم الأغراض الخير مثل جلب الحض والشفاء، فقد اختص بهذا النوع من السحر مجموعة من السحرة وفيها يستغل الساحر ما اوتي من قوى ومعرفه في جلب الخير الافراد والجماعة منها ابعاد الوباء عن الماشية في حال تفشي المرض بين الحيوانات، او التعجيل في سقوط المطر حالة تأخر هطولها،ويعمل الساحل من اجل الجماعة ككل وفي الوقت نفسه يمكن ان يعمل لصالح الافراد فقد استخدم هذا النوع من السحر في بلاد السودان للعلاج وكان يلقب المعالج بالسحر بالكاهن الطبيب ويقوم الكاهن ببيع التعاويذ والتمائم الى المرضى (زناتي، 1969، صفحة 209) ففي قبيلة الباري وهي احد قبائل بلاد السودان امتزج السحر مع الطب ويسمى (بونيت) وهو يكون ذكر او انثى فهو يمارس حرفته بين الطب والسحر وهو في الغالب يكون من اسرة معروفة بمجال السحر، ومن عادات هذا النوع من السحرة يقوم ب مواساة المرضى وابرز ما يميز هذا النوع من السحرة هو قيامهم بأعمال من اجل مقاومة الحسد، فيلجة اليه أصحاب الرزق الوفير، وهو كاهن يحذر من بعض الاعمال ويؤخذ بريه في كل مناسبة (محمد ص.، 1959، صفحة 133)

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

2ـ السحر الأسود الضار وفي هذا النوع من السحر يستعمل الساحر قدراته لغرض التلاعب والحاق الأذى بالأخرين حيث يستخدم الساحر ما بوسعه من اجل الحاق الأذى بشخص كإصابته بمرض معين او قتله او إصابة النساء بالعقم وغيرها من الاعمال الشريرة التي تفتك بالبشرية (عبيد، 2022، صفحة 483) واعتقد الناس بقدرة أولئك السحرة على الحاق الأذى في كافة انحى البلاد وهم السبب المباشر في انشار الامراض، كلما كان الساحر من الطائفة العليا يكون موضع احترام وتقدير بين عامة السكان ويحتل مراكز قيادية بين جماعته بينما يكون الساحر من الطائفة الأدنى محل سخرية وكراهية من قبل عامة السكان لكونه مصدر الأذى و الشر وهم في الوقت نفسه أعداء للشعب والذي يجب محاسبتهم بسبب عمالهم الخبيثة (ديشان، 2011، صفحة 96). وقد تعرض هؤلاء السحرة الى الانتقام الجماعي نتيجة حدوث امر ضار يحل بالمجتمع ويكون نتيجة سحر ساحر معين فتلته مشاعر القوم ويتفجر غضبهم فيقتلون الساحر المسبب، وكانت تقام محام ن اجل انزال بحق السحرة الت تثبت قيامهم بأعمال الشعوذة الضارة (زناتي، 1969، صفحة 210).

سادساً : تقديس الحاكم :

ان تقديس الحاكم من المعتقدات التي ظهرت في السودان الأوسط وخاصتا في بلاد كانم حيث كان الملك عندهم محل تعظيم وتقديس عندهم وكان الملك بمثابة المعبود اوجب عليهم تقديم له فروض الطاعة والولاء من قبل الرعية وهم بذلك يعتقدون ان الحياة مرتبطة بملوكهم " وديانتهم عبادة ملوكهم، ويعتقدون أنهم الذين يحيون ويميتون، ويمرضون ويصحون" (الحموي، 1997، صفحة 142) وانتشرت بين سكان السودان الأوسط في بلاد الكانم تقديس الحاكم حين كان الجنس الزغاوة [*] يعظمون الحاكم ويعبدونه من دون الله تعالى (علال، 2022، صفحة 36)

ومن المعلوم ان تقديس الملوك من العادات التي كانت سائدة في السودان الغربي حيث ان الرعية في غانة كانت تنظر الى ملك غانا بنه ممثل للإله، " لأنه زعيم عظيم القوى القبائل، وتشترط فيه القوة التي هي عنصر مقدس بل ان زعيم القبيلة يتدحرج على الأرض المحروثة ليجلب لها الخصب" (قداح، 1960، صفحة 35) وبطبيعة الحال ان تقديسهم لملوكهم نابع من اعتقادهم بان الملوك هم وسيله بينهم وبين الرب (البكري، 1992، صفحة 11).

ومن العادات التي كانت منتشرة عندهم يتم وضع جثته الملك بعد وفاته تحت قبة خشبية على وسائد وثيرة [*] ويتم وضع بجانبه الشراب والطعام واللباس ويقف الى جانبه خدمه ثم تغلق القبة على من فيها وينثر الترب عليها حتى تصبح تلاً كبيراً وينشد بعدها التراتيل الخاصة بالجنازة (قداح، 1960، صفحة 35).

سابعاً: الطوطمية :

ان ظاهرت تقديس الكائنات الحية من حيوانات ونبات قد انتشرت بشكل كبير في بلاد السودان حيث كانت لها مكانة مميزه بين السكان وكان باعتقادهم ان اسلافهم منحدرين منها حيث كانت هناك طوطم القبيلة و الشخص طوطم الجنس، وهناك بعض القبائل ترى انها من سلالة الفهد ن وهناك من يعتقد انه بحماية الحيوان (الملاح، 2014، صفحة 23). بل نجدهم قد عبدو بعض الحيوانات وخاصتاً الافاعي حيث انهم وجدوها قريبة الصلة بالإنسان بامتلاكها اروح كأرواح البشر لذلك بتعد عن اكلها اوعن صيدها وكان يستخدموا الشعائر لكسبها واستبعاد اذاها، وهم يعتقدون ان اسلافهم منحدرين منها (زناتي، 1969، صفحة 205). فقد كان سكان غانة يقدسون الحية حيث كان يقدمون اليها الفتيات كقربان في كل عام، وهنالك اسطورة شائعة تدور احداثها عن شاب حاول انقاذ خطيبته من تقديمها قربان الى الافعى ونقادها ونتيجتاً لهذا حلت بمدينة غانة من جراء هذاء الفعل المصائب والحق بها الخراب والهلاك (قداح، 1960، صفحة 34) فقد

(*) زغاوة : وتعني المعسكر او المخيم في لغة الطوارق والزغاوة هم خليط من الزنج والتيبو الليبيين وكانت اوطانهم تمتد غرباً الى إقليم النيجر لكنهم نزحوا وعاشوا شمال غرب دارفور وقسم منهم يسكن في كردفان ويتكلم الزغاوة اللغة العربية فضلا عن لغة التيبو.انظر : (نوري، 1985، صفحة 288)

(*) وثيرة : والمذكر وثير ويوصف به الفراش الناعم على انه مريح عند النوم، ينظر (ابو طالب ، 2009، صفحة 289)

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

ذكر البكري عند حديثه عن بلاد السودان الغربي حول تقديسهم للأفاعي بقوله : "يعبدون حية كالثعبان العظيم...متعبدين معظمين لتلك الحية " (البكري، 1992، صفحة 868)

وقد كسبت الثعابين مكانة بين المجتمع الافريقي حيث انهم كانوا يعتقدون ان الافاعي تتدخل في اختيار من يصلح للملك، حيث كان يتم جمع أولاد الحاكم المتوفي في مكان تواجد الثعابين فيقوم الثعبان يشم رجلاً بعد اخر حتى يقوم بنفخ في وجه احدهم فيكون هو الحاكم،ويرجع بعدها الثعبان الى مغارته ويتبعه ذلك الرجل مسرعا ويقطع من ذنبه او عرفه بعض الشعرات وهي تمثل فترت حكمه فيحكم قومه بعدد تلك الشعرات، وهي كذلك تحتفل بتتويج الحاكم بخروجها من جحرها (الحميري، 1984، صفحة 34) (قداح، 1960، صفحة 34)

وكان السكان مدينة راكنو وهم من البربر يعلقون نفيس الثياب والمتاع على تلك المغارة ويضعون للثعبان جفان الطعام وعساس اللبن والشراب، وكانوا يتكلمون مع الثعبان عن طريق التصفير فيخرج لهم (الحميري، 1984، صفحة 132)

ان ظاهرة تقديس الحيوان كانت منتشرة بشكل واسع في بلاد السودان الشرقي حيث كان يتم تقديس الخروف في منطقة بحيرة تشاد فقد عثر على تماثيل على شكل أجساد انسان وبراس كبش (ديشان، 2011، صفحة 36)

ويبدو ان خوفهم وتقديسهم للثعابين قد تم بعد ان قام مجموعة منهم بقتل الثعبان الذي كان اسلافهم يعبدونه بعد لكنهم تحسفوا بعد قتله لان محاصيلهم الزراعية تأثرت وتوقف سقوط المطر في الوقت نفسة انتقلت مناطق الذهب الى الجنوب (الملاح، 2014، صفحة 24)

كما كان للأشجار نصيباً من التقديس في بلاد السودان فقد عبدوا شجرة الجميز وكان يقدمون لها النذور وتذبح على جذورها الخرفان حيث كان باعتقادهم ان للأشجار روح فكانوا يقدمون القرابين والادعية قبل قلعها لأرضاها، ومن المعلوم ان تقديس المظاهر الطبيعية نابع من الإحساس بالروابط الوثيقة التي تربط بين المجتمع والبيئة الطبيعية ومن الشائع بين هذه المجتمعات اعتقاد ان للاشيا ء ارواحاً تحل فيها كالحجارة والأشجار والبحار وهي بطبيعة الحال لها تأثير على حياتهم فقدسوها (الملاح، 2014، الصفحات 24-25) فكان أهالي الدموم وهي احد مناطق بلاد السودان يتبركون بشجرة القطن فكان يزرع كل واحد منهم شجرة قطن في بيته تبركاً (المظفر، 2010، صفحة 123)

ومن المعتقدات التي كانت منتشرة في بسن سكان جنوب الصحراء تقديس بعض عناصر الطبيعة فقد قدس قبائل الماندي نهر النيجر حيث كان محلاً لتقديسهم وقد قدموا له القرابين (المظفر، 2010، صفحة 122)

كما كان طوطم قبائل الديولا [*]هو المطر والذي يمثل عندهم رمزاً للخير والسعادة لأن القوى الخفية بالمطر تسعدهم (السعدي، 1898، صفحة 74) بينما تتخذ قبائل (الدوغون و لبنبارة) طوطماً حيوانياً حيث باعتقادهم ان الحيوان توأم الإنسان، وأن كل جد من أجدادهم يقابله حيوان عادي (المظفر، 2010، صفحة 123).

في حين كان سكان السودان الغربي بالتحديد سنغاي يعبدون الشيطان وهو باعتقادهم يظهر على صورة حوت في وقت معين فوق سطح البحر فيجتمع السكان حوله ويعبدونه ويقوم بأمرهم وينهي بينهم حيث انهم يطيعون امره ويبتعدوا عن ما نهاهم عنه (السعدي، 1898، صفحة 4)

وان تقديس المظاهر الطبيعية ناجم من الإحساس بالروابط الوثيقة التي تربط المجتمعات البدائية بالبيئة بالطبيعية فمن الشائع في هذه المجتمعات هو الاعتقاد بان للأشياء ارواحاً تحل فيها كالأشجار والانهار والاحجار، وهي توثر في حياتهم مما يتطلب تقديسها وإقامة الطقوس الدينية المناسبة الها حسب اعتقادهم (الملاح، 2014، صفحة 26)

(*) الدايولا: ينحدر الديولا من سلالة السوننكي الذين يعتبرون فرعاً من الماندينغ ولكنهم انفصلوا عنهم قبل ان يختلطوا مع شعوب الساحل من السامين وبربر مورسكيين (شعابي، 2014، صفحة 9)

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

النتائج :

ومن خلال هذا البحث توصل الباحث الى النتائج التالية :

1- لقد انتشرت بين سكان افريقيا جنوب الصحراء العديد من المعتقدات الدينية فقد اتخذ الدين اشكال مختلفة فظهرة جماعة تدين بالله الأعظم رب السماء فاكانوا يعتقدون ان الله هو الأقوى واعظم من كل الوجود بينما كانت معرفتهم بهذا الاله بسيطة ومشوشه.

2- بينما ظهرت جماعة أخرى تعتقد بالوثنية فكانت عبادة الاوثاث واحدة من ابرز المعتقدات التي انتشرت بين القبائل الافريقية.

3- كما كانت جماعة تومن بقوة الطبيعة فاتخذوا من الشمس والنار معبود لهم بينما قامة بعض القبائل الزنجية التي تمتهن الزراعة بتقديس الأرض.

4- فيما كان يعتقد بعض القبائل بخلود النفس بعد هلاك الجسد فقد انتشرت بينهم عبادة الاسلاف.

5ـ كما كان لتقديس الحاكم نصيب بين سكان القبائل الافريقية حيث كان السكان يعتبرون الملك بنه ممثل الاله فكان الملك عندهم محل تعظيم.

6- واخذ السحر النصيب الأكبر فقد راج السحر بين سكان البلاد السودان فكان السحرة والمشعوذين لهم قدرات خارقة غير مألوفة تمكنهم من تحقيق بعض الأمور التي تكون غير ميسرة ولم يقتصر السحر على جنس معين فندج الساحر من الرجال والنساء، كما كان وجود نوعين من السحر هما النافع والسحر الأسود الضار.

7ـ في حين عرفت بعض الجماعات الطوطمية واعتقدوا بها حيث انتشرت بين اغلب قبائل افريقيا جنوب الصحراء فمنهم من قام بتقديس الافاعي وكان يقدمون القرابين لها، بل اعتقدوا ان الافاعي تدخل في تنصيب الملك على العرش

المصادر

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. (1927). مسالك الممالك.ليدن. مطبعة بربيل.

1لانصاري،شمس الدين ابو عبد الله محمد. (1923). نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. الايبرك.

البكري،أبو عبيد الله بن عبد العزيز. (1992). المسالك والممالك. تح : ادريان فان ليوفن. بيروت–لبنان: دار المغرب الإسلامي.

الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت. (1997). معجم البلدان. بيروت–لبنان: دار صادر.

الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1984). الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق :احسان . بيروت–لبنان: مكتبة لبنان، ط3.

حسين،علي حمد. (1998). قاموس المذاهب والأديان. بيروت–لبنان: دار الجبل.

ديشان،هوبير. (2011). الديانات في افريقيا السوداء. ترجمة :احمد صادق حمدى. مراجعة . القاهرة–مصر: الهية المصرية العامة للكتاب.

زناتي، محمود سلام. (1969). الإسلام التقاليد القبلية في افريقيا. بروت–لبنان: دار النهضة .

السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران. (1898). تاريخ السودان. باريس: بريدن.

شعابي ،نور الدين ، (2014). الديولا ودورهم في نشر الاسلام في منطقة الغابات الافريقية. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية(3).

ابو طالب، عبد الهادي . (2009). معجم صحيح لغة الاعلام العربي. بيروت: دار العلم للملاين.

عبيد، نعيم دنيان. (2022). السحر والعرافة في افريقيا جنوب الصحراء من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجريين. الجامعة المستنصرية: مجلة كلية التربية. (العدد٢).

علال، هاني علي. (2022). الحياة الاجتماعية في افريقيا جنوب الصحراء من القرن الخامس . الجامعة المستنصرية: اطروحة دكتوراه غير منشورة .

عليان، رشدي، الساموك، سعدون. (د.ت). الأديان دراسة تاريخية مقارنة،الديانات القديمة. بغداد–العراق: مطبعة وزارة التعليم.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

عمر فروخ. (1983). تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون. بيروت–لبنان: دار العلم، ط4.
الفاسي،الحسن بن محمد الوزان. (1983). وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي . محمد الاخضر. بيروت–لبنان: دار الغرب الاسلامي، ط2.
قداح، نعيم. (1960). افريقيا الغربية في ظل الإسلام. دمشق سوريا: مطبعة الوحدة العربية.
مجهول. (1986). الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد. بغداد–العراق: دار الشون الثقافية.
محمد، صافي الدين. (1959). افريقيا بين الدول الاوربية. القاهر–مصر: المكتبة المصرية.
محمد، عاصم محمد حسن. (2008). الديانات التقليدية في غرب أفريقيا. مجلة قراءات .
محمود، نبيلة حسن. (د.ت). تاريخ الحضارة الإسلامية. القاهرة–مصر: دار المعارف الجامعية.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. (2005). مروج الذهب ومعادن الجوهر. بيروت–لبنان: المكتبة المصرية.
المظفر، محسن عبد الصاحب. (2010). جغرافية المعتقدات والديانات. عمان–الاردن: دار صفاء.
الملاح، بشار اكرم جميل. (2014). *اريخ الإسلام في افريقيا*. عمان–الاردن: دار الفكر
المقريزي،احمد بن علي بن عبد القادر. (د.ت). *الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار*. القاهرة–مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1999). لسان العرب. بيروت–لبنان: ط3.بيروت : دار الحياء.
نوري، دريد عبد القادر. (1985). تاريخ الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء من القرن(4 –10هـ/ 10 – 16م). الموصل–العراق: مطبعة جامعة الموصل
النقيرة، محمد عبد الله. (1982). انتشار الإسلام في شرق افريقية ومناهضة الغرب له. الرياض: دار المريخ.
اليعقوبي،احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن وضاح. (1439). تاريخ اليعقوبي،علق . قم–ايران: دار الزهراء.

References

Al-Istakhri, Abu Ishaq Ibrahim ibn Muhammad. (1927). Masalik al-Mamalik. Leiden. Barbil Press.
Al-Ansari, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad. (1923). Nukhbat al-Dahr fi Aja'ib al-Barr. Al-Iberk.
Al-Bakri, Abu Ubayd Allah ibn Abd al-Aziz. (1992). Masalik wa al-Mamalik. Ed. Adrian van Leeuwen. Beirut, Lebanon: Dar al-Maghrib al-Islami.
Al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut. (1997). Mu'jam al-Buldan. Beirut-Lebanon: Dar Sader.
Al-Humairi, Muhammad ibn Abd al-Mun'im. (1984). The Fragrant Garden in the News of the Countries. Edited by: Ihsan. Beirut-Lebanon: Library of Lebanon, 3rd ed.
Hussein, Ali Hamad (1998). Dictionary of Sects and Religions. Beirut, Lebanon: Dar Al-Jabal.
Deschamps, Hubert (2011). Religions in Black Africa. Translated by: Ahmed Sadiq Hamdi. Reviewed. Cairo, Egypt: The Egyptian General Library.
Zanati, Mahmoud Salam (1969). Islam: Tribal Traditions in Africa. Beirut, Lebanon: Dar Al-Nahda.
Al-Sa'di, Abd al-Rahman ibn Abd Allah ibn Imran. (1898). History of Sudan. Paris: Breden.
Shaeabi , nur aldiyn , (2014). alduyula wadawruhum fi nashr alaisalam fi mintaqat alghabat alafriqiati. majalat alhikmat lildirasat altaarikhia (3).
abw talb, eabd alhadi . (2009) muejam sahih lughat alaelam alearabia. bayrut: dar aleilm lilmalayini.
Obeid, Naim Dunyan (2022). Magic and Divination in Sub-Saharan Africa from the Fifth to the Tenth Century AH. Al-Mustansiriya University: Journal of the College of Education. (Issue 2).
Allal, Hani Ali (2022). Social Life in Sub-Saharan Africa from the Fifth Century. Al-Mustansiriya University: Unpublished PhD Thesis.
Alian, Rushdi, and Al-Samouk, Saadoun (n.d.). Religions: A Comparative Historical Study, Ancient Religions. Baghdad, Iraq: Ministry of Education Press.
Omar Farroukh (1983). History of Arab Thought to the Days of Ibn Khaldun. Beirut, Lebanon: Dar Al-Ilm, 4th ed.

 DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760

Al-Fasi, al-Hasan ibn Muhammad al-Wazzan. (1983). Description of Africa, translated by Muhammad Hajji and Muhammad al-Akhdar. Beirut-Lebanon: Dar al-Gharb al-Islami, 2nd ed.

Qaddah, Na'im (1960). West Africa under Islam. Damascus, Syria: Arab Unity Press.

Anonymous (1986). Insight into the Wonders of Cities. Edited by: Saad Zaghloul Abdel Hamid. Baghdad, Iraq: Dar Al-Shun Al-Thaqafiya.

Muhammad, Safi Al-Din (1959). Africa among European Countries. Cairo, Egypt: Egyptian Library.

Muhammad, Asim Muhammad Hassan (2008). Traditional Religions in West Africa. Qira'at Magazine.

Mahmoud, Nabila Hassan (n.d.). History of Islamic Civilization. Cairo, Egypt: Dar Al-Ma'arif Al-Jami'iya.

Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn ibn Ali. (2005). Meadows of Gold and Mines of Gems. Beirut, Lebanon: The Egyptian Library.

Al-Muzaffar, Mohsen Abd al-Sahib. (2010). The Geography of Beliefs and Religions. Amman, Jordan: Dar Safa.

Al-Mallah, Bashar Akram Jamil. (2014). History of Islam in Africa. Amman-Jordan: Dar al-Fikr.

Al-Maqrizi, Ahmad ibn Ali ibn Abd al-Qadir. (n.d.). Admonition and Consideration in Mentioning Plans and Monuments. Cairo-Egypt: Library of Religious Culture.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali. (1999). Lisan al-Arab. Beirut, Lebanon: 3rd ed. Beirut: Dar al-Hiya.

Nouri, Duraid Abdul Qadir (1985). History of Islam in Sub-Saharan Africa from the 4th to the 10th Century AH (10th to the 16th Century AD). Mosul, Iraq: Mosul University Press.

Al-Naqira, Muhammad Abd Allah. (1982). The Spread of Islam in East Africa and the West's Opposition to It. Riyadh: Dar al-Marikh.

Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Ishaq ibn Ja'far ibn Wahb ibn Wadah. (1439). Al-Yaqubi's History, Alaq. Qom, Iran: Dar Al-Zahra.

 DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.760